الفصل الأول

١ـ صفات الملائكة وقدراتهم

صفاتهم وقدراتهم

سنحاول في هذا الفصل أن نتبين من خلال النصوص الصحيحة صفات الملائكة الخَلْقية والخُلُقية ، ثم نتحدث عن القدرات التي وهبهم الله إياها .

الصفات الخَلْقية وما يتعلق بها

مادة الخلق :

عرفنا الرسول ﷺ في الحديث الذي ترويه عائشة بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها وعن أبيها ـ أن المادة التي خلقوا منها هي النور ، فقال ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) [1] (رواه مسلم في صحيحه) .

ولم يبين لنا الرسول ـ ﷺ ـ أي نور هذا الذي خلقوا منه ، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد ، لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث .

وما روي عن عكرمة أنه قال : (خلقت الملائكة من نور العزة ، وخلق إبليس من نار العزة) .

وما روي عن عبدالله بن عمرو أنه قال : (خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر) لا يجوز الأخذ به ، وعلى فرض صحته عن هؤلاء العلماء الأفاضل فهم غير معصومين ، ولعلهم قد استقوه من الإسرائيليات .

---

(١) بعض الذين ينسبون إلى العلم يردون هذا الحديث وأمثاله زاعمين أنه حديث آحاد ، وأنّ حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة ، وقد ناقشت هذا القول وبينت بطلانه في رسالة بعنوان (أصل الاعتقاد) .

(راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩٧/١) .

واما ما ذكره ولي الله الدهلي في الحجة البالغة (ص ٣٣) من (أنَّ الملأ الأعلى) ثلاثة أقسام : قسم علم الحق أن نظام الخير يتوقف عليهم ، فخلق أجساماً نورية بمنزلة نار موسى فنفخ فيها نفوساً كريمة .

وقسم اتفق حدوث مزاج في البخارات اللطيفة من العناصر استوجب فيضان نفوس شاهقة شديدة الرفض (أي الترك) للألواث البهيمية .

وقسم هم نفوس إنسانية قريبة المأخذ من الملأ الأعلى ما زالت تعمل أعمالاً منجية تفيد اللحوق بهم حتى طرحت عنها جلابيب أبدانها ، فانسلكت في سلكهم وعدّت منهم)

ـ فلا يوجد دليل صحيح على صحة هذا التقسيم ـ بهذا التفصيل والتحديد .

متى خلقوا ؟

لا ندري متى خلقوا فالله ـ سبحانه ـ لم يخبرنا بذلك . ولكننا نعلم أنَّ خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر ، فقد أخبرنا الله أنَّه أعلم ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (سورة البقرة / ٣٠) والمراد بالخليفة آدم عليه السلام ، وأمرهم بالسجود له حين خلقه (فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (سورة الحجر / ٢٩) .

عظم خلقهم :

قال الله تعالى في **ملائكة النَّار** : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، (سورة التحريم / ٦) .

وسأكتفي بسوق الأحاديث التي تتحدث عن ملكين كريمين فحسب .

عظم خلق جبريل :

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال : رأى رسول الله ـ ﷺ ـ جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأفق . يسقط من جناحه التهاويل (الأشياء المختلفة الألوان) من الدر واليواقيت .

قال ابن كثير في هذا الحديث : اسناده جيد (البداية ٤٧/١) .

وفي سنن الترمذي باسناد صحيح أن الرسول ـ ﷺ ـ قال في جبريل : (رأيته منهبطاً من السماء **سداً عظم** خلقه ما بين السماء والأرض) .

وقال في وصفه (إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثَـمَّ أمين) ، (سورة التكوير ١٩ ـ ٢١) والمراد بالرسول الكريم هنا جبريل ، وذي العرش : رب العزة سبحانه .

عظم خلقة حَـمَلة العرش :

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (أذن لي أن أحدِّث عن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام) .

ورواه ابن أبي حاتم **وقال: (تخفق الطير ،) قال محقق** مشكاة المصابيح : إسناده صحيح (١٢١/٣) ، وانظر تخريج الشيخ ناصر له في الأحاديث الصحيحة (٧٢/١) .

وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أنس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش ، رجلاه في الأرض السفلى ، وعلى قرنه العرش ، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام ، يقول (أي الملك) : سبحانك حيث كنت) .

للملائكة أجنحة :

للملائكة أجنحة كما أخبرنا الله تعالى ، فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، أو أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)،(سورة فاطر /١) والمعنى أن الله جعلهم أصحاب أجنحة ، بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك .

وقد سبق ذكر الأحاديث التي يخبر فيها الرسول ـ ﷺ ـ أن لجبريل ستمائة جناح .

جمالهم :

خلقهم الله على صور جميلة كريمة كما قال تعالى في جبريل : (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى) ، (سورة النجم ٦/٥) قال ابن عباس : (ذو مرة) ذو منظر حسن ، وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن . وقيل . ذو مرة : ذو قوة ولا منافاة بين القولين فهو قوي وحسن المنظر .

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال ، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح ، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك ، انظر إلى ما قالته النسوة في حقِّ يوسف الصديق عندما رأينه : (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ) ، (سورة يوسف/٣١) .

هل بين الملائكة والبشر شبه في الشكل والصورة ؟

روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن جابر رضي الله عنه قال : (عرض عليَّ الأنبياء ، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنَّه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ، ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبُكم ، (يعني نفسه) .

ورأيت جبريل ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً (دحية) فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي ، أم هو بين الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر ؟ ! الأرجح هذا الأخير لما سيأتي أن جبريل كان يتمثل في صورة دحية كثيراً .

تفاوتهم في الخلق والمقدار :

الملائكة ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار ، فبعض الملائكة له جناحان وبعضهم له ثلاثة وجبريل له ستمائة جناح ، ولهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة (وما منَّا إلا له مقام معلوم)،(سورة الصافات /١٦٤) .

وقال في جبريل (إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين) ، (سورة التكوير ١٩ ـ ٢١) .

أي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله .

وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر ، ففي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع : أن جبريل جاء للنبي ـ ﷺ ـ فقال : ما تعدُّون من شهد بدراً فيكم ؟ قلت : خيارنا ، قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة) .

لا يوصفون بالذكورة والأنوثة :

من أسباب ضلال بني آدم في حديثهم عن عوالم الغيب أن بعضهم يحاول إخضاع هذه العوالم لمقاييسه البشرية الدنيوية ، فنرى واحداً من هؤلاء يعجب في مقال له في صحيفة سيارة ، من أن جبريل كان يأتي الرسول ـ ﷺ ـ بعد ثوان من توجيه سؤال إلى الرسول ـ ﷺ ـ يحتاج إلى جواب من الله ، فكيف يأتي بهذه السرعة الخارقة ، والضوء يحتاج إلى ملايين السنوات الضوئية ليصل إلى بعض نجوم السماء .

وما دري هذا المسكين أن مثله كمثل بعوضة تحاول أن تقيس سرعة الطائرة بمقياسها الخاص ، لو تفكر في الأمر لعلم أن عالم الملائكة له مقاييس تختلف تماماً عن مقاييسنا نحن البشر .

ولقد ضل في هذا المجال مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناثاً ، واختلطت هذه المقولة المجافية للحقيقة عندهم بخرافة أعظم وأكبر إذ زعموا أن هؤلاء الإناث بنات الله .

وناقشهم القرآن في هاتين القضيتين ، فبيّن أنّهم ـ فيما ذهبوا إليه ـ لم يعتمدوا على دليل صحيح ، وأن هذا القول قول متهافت ، ومن عجب أنهم ينسبون لله البنات وهم يكرهون البنات ، وعندما يبشر أحدهم بأنّه رزق بنتاً يظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، وقد يتوارى من الناس خجلاً من سوء ما بُشر به ، وقد يتعدى هذا المأفون طوره فيدس هذه المولودة في التراب ، ومع ذلك كله ينسبون لله الولد ، ويزعمون أنهم إناث وهكذا تنشأ الخرافة وتتفرع في عقول الذين لا يتصلون بالنور الإلهي . استمع إلى الآيات التالية تحكي هذه الخرافة وتناقش أصحابها : (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ، ألا إنهم من إفكهم ليقولون ، ولد الله وإنهم لكاذبون ، اصطفى البنات على البنين ، ما لكم كيف تحكمون ، أفلا تذكرون ، أم لكم سلطان مبين)،(سورة الصافات /١٤٩ ـ ١٥٦) .

وقد جعل الله قولهم هذا شهادة سيحاسبهم عليها ، فإن من أعظم الذنوب القول على الله بغير علم : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، أشهدوا خلقهم ؟ ستُكتب شهادتهم ويُسألون)[1] (سورة الزخرف /١٩) .

---

(١) ومن هنا يجب أن يحذر المسلم في أن يتقول في مثل هذه الأمور بلا علم ، فهؤلاء الذين يزعمون أن أصل الإنسان حيوان : قرد ، أو غيره ، يقال لهم نفس القول : (أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسألون) والله يقول : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) .

لا يأكلون ولا يشربون :

أشرنا من قبل أنهم لا يوصفون بالذكورة والأنوثة ، وكذلك هم لا يحتاجون إلى طعام البشر وشرابهم ، فقد أخبرنا الله أن الملائكة جاؤوا إبراهيم في صورة بشر فقدَّم لهم الطعام فلم تمتد أيديهم إليه فأوجس منهم خيفة ، فكشفوا له عن حقيقتهم فزال خوفه واستغرابه : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ (مال) إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف وبشروه بغلام عليم) ، (سورة الذاريات/٢٤ ـ ٢٨).

وفي آية أخرى قال : (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط) ، (سورة هود /٧٠) .

لا يملّون ولا يتعبون :

والملائكة يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره ، بلا كلل ولا ملل ، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك ، قال تعالى في وصف ملائكته : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) ، (سورة الأنبياء /٢٠) .

ومعنى لا يفترون : لا يضعفون . وفي الآية الأخرى (فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) (سورة فصلت /٣٨) تقول العرب : سئم الشيء : أي ملَّه .

منازلهم :

منازل الملائكة ومساكنها السماء ، كما قال تعالى : (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم) (سورة الشورى /٥) .

وقد وصفهم الله تعالى بأنهم عنده : (فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) ، (سورة فصلت / ٣٨) .

وينزلون إلى الأرض بأمر الله لتنفيذ مهمات نيطت بهم ، ووكلت إليهم (وما نتنزل إلا بأمر ربك)،(سورة مريم /٦٤) .

ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة كليلة القدر (ليلة القدر خير من ألف شهر تنزَّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) ، (سورة القدر /٣ ـ ٤).

عددهم :

الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم (وما يعلم جنود ربك إلا هو)،(سورة المدثر /٣١) .

وإذا أردت أن تعلم كثرتهم فاسمع ما قاله ـ ﷺ ـ في البيت المعمور الذي في السماء السابعة : (فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم) رواه البخاري ومسلم .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (يؤتى بجهنَّم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملك .

وإذا تأملت النصوص الواردة في الملائكة التي تقوم على الإنسان ـ علمت مدى كثرتهم ـ ، فهناك ملك موكل بالنطفة ، وملكان لكتابة أعمال كل إنسان ، وملائكة لحفظه ، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده ... (كما سيأتي قريباً) .

أسماؤهم :

للملائكة أسماء ، ونحن لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل وإليك الآيات التي ورد فيها أسماء بعض الملائكة .

١ ، ٢ ـ جبريل وميكائيل :

قال تعالى : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله

مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكـال فإنَّ الله عدو للكافرين) ، (سورة البقرة /٩٧ ـ ٩٨) .

وجبريل هو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) ، (سورة الشعراء /١٩٣ ـ ١٩٤) .

وهو الروح المعني في قوله تعالى : (تنزَّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) (سورة القدر / ٤) .

وهو الروح الذي أرسله إلى مريم : (فأرسلنا إليها روحنا)،(سورة مريم / ١٧) .

٣ ـ اسرافيل :

ومن الملائكة إسرافيل الذي ينفخ في الصور ، وجبريل وميكائيل وإسرافيل هم الذين كان يذكرهم الرسول ـ ﷺ ـ في دعائه كلما استيقظ من الليل : (اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنَّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) .

٤ ـ مالك :

ومنهم مالك خازن النار (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) ، (سورة الزخرف /٧٧)

٥ ـ رضوان :

قال **ابن كثير** : (وخازن الجنَّة ملك يقال له رضوان ، جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث) (البداية : ١/٥٣) .

٦ ، ٧ ـ منكر ونكير :

ومن الملائكة الذين سماهم الرسول ـ ﷺ ـ : منكر ونكير ، وقد

استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر .

٨ ، ٩ ـ هاروت وماروت :

ومنهم ملكان سماهما الله باسم (هاروت وماروت) قال تعالى : (وما كفر سليمان ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ...) ، (سورة البقرة /١٠٢) .

ويبدو من سياق الآية أن الله بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات ، وقد نُسجت حولهما في كتب التفسير أساطير كثيرة ، لم يثبت شيء منها في الكتاب والسنة ، فيكتفي في معرفة أمرهما . بما دلت عليه الآية الكريمة .

عزرائيل :

وقد جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل ولا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسميته بهذا الاسم (البداية ١/٥٠) .

رقيب وعتيد :

يذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد ، استدلالاً بقوله تعالى : (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)،(سورة ق / ١٧ ـ ١٨) .

وما ذكروه غير صحيح ، فالرقيب والعتيد هنا وصف للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد ، ومعنى رقيب وعتيد أي ملكان حاضران شاهدان لا يغيبان عن العبد . وليس المراد أنهما اسمان للملكين .

هل تموت الملائكة ؟

الملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن ، وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا

من شاء الله ثمَّ نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ، (سورة الزمر /٦٨) .

فالملائكة تشملهم الآيـة لأنهم في السمـاء يقـول ابن كثير عند تفسير هذه الآية : (هذه هي النفخة الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحـيُّ القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ، ويقول : لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات . ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول :(لله الواحد القهار) .

ومما يدلُّ على أنهم يموتون قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) (سورة القصص / ٨٨) .

وهل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور ؟ هذا ما لا نعلمه ولا نستطيع الخوض فيه لعدم وجود النصوص المثبتة له أو النافية .

الصفات الخُلُقية

الملائكة كرام برزة :

وصف الله الملائكة بأنهم كرام برزة (بأيدي سَفَرَة كرام برزة) ، (سورة عبس : ١٥ ـ ١٦) ، أي القرآن بأيدي سفرة : أي الملائكة لأنَّهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه ، قال البخاري : (سفرة : الملائكة ، سفرت أصلحت بينهم)، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله ـ تعالى ـ وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم ، وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنَّهم (كرام برزة) أي خَلْقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد ، روى الإمام أحمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول

الله ـ ﷺ ـ : (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق ، له أجران) ، (وقد أخرجه الجماعة) .

استحياء الملائكة :

من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ بها : الحياء ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن عائشة أن الرسول ـ ﷺ ـ كان مضطجعاً في بيتها كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال ، فتحدث ، ثمَّ استأذن عمر فأذن له وهو كذلك ، فتحدث ، ثمَّ استأذن عثمان فجلس الرسول ـ ﷺ ـ وسوَّى عليه ثيابه ، فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش له ، ولم تُبَالِه ، ثمَّ دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثمَّ دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ، فقال : (ألا استحيي من **رجل تستحيي منه الملائكة**) .

قُدراتهم

قدرتهم على التشكل :

أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم ، فقد أرسل الله جبريل إلى مريم في صورة بشر : (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قال :إنَّما أنا رسول ربِّك لأهب لك غلاماً زكيّاً) ، (سورة مريم / ١٦ ـ ١٩) .

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ جاءته الملائكة في صورة بشر ولم يعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم ، وقد ذكرنا الآيات التي تتحدث عن ذلك فيما سبق .

وجاءوا إلى لوط في صورة شباب حسان الوجوه ، وضاق لوط بهم

وخشي عليهم من قومه ، فقد كانوا قوم سوء يفعلون السيئات ويأتون الذكران من العالمين (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم ، وضاق بهم ذرعاً ، وقال هذا يوم عصيب) ، (سورة هود/ ٧٧) .

يقول ابن كثير : (تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة ، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر) (البداية والنهاية ٤٣/١) .

وقد كان جبريل يأتي الرسول ـ ﷺ ـ في صفات متعددة ، فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي (صحابي كان جميل الصورة) وتارة في صورة أعرابي .

وقد شاهده كثير من الصحابة عندما كان يأتي كذلك .

ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منَّا أحد ، فجلس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، وفي الحديث أنه سأله عن الإيمان والإحسان والساعة وأماراتها .

وقد أخبر الرسول ـ ﷺ ـ فيما بعد أن السائل جبريل جاء يعلم الصحابة دينهم .

ورأت عائشة الرسول ـ ﷺ ـ واضعاً يده على معرفة فرس دحية الكلبي يكلمه فلما سألته عن ذلك ، قال ـ ﷺ ـ ذاك جبريل وهو يقرئك السلام . أخرجه أحمد في مسنده وابن سعد في الطبقات بإسناد حسن .

وقد حدثنا الرسول ـ ﷺ ـ عن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، وأنه لما هاجر تائباً جاءه الموت في منتصف الطريق إلى الأرض التي هاجر إليها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فحكَّموا فيه ملكاً

جاءهم في صورة آدمي ، يقول عليه السلام : (فجاءهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ، فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له) ولا بدَّ أنهم حكموه بأمر الله ، فأرسل الله لهم هذا الملك في صورة آدمي . والقصة في صحيح مسلم في باب التوبة .

وسيأتي في قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله من بني اسرائيل الأبرص والأقرع **والأعمى** ـ وأن الملك تشكل بصورة كل من الأقرع والأبرص والأعمى .

عظم سرعتهم :

أعظم سرعة يعرفها البشر هي سرعة الضوء ، فهو ينطلق بسرعة (١٨٦) ألف ميل في الثانية الواحدة .

أمّا سرعة الملائكة فهي فوق ذلك ، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر ، كان السائل يأتي إلى الرسول ـ ﷺ ـ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من ربِّ العزة سبحانه وتعالى ، واليوم لو وُجدت المراكب التي تسير بسرعة الضوء فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع الشاسع .

علمهم :

والملائكة عندهم علم وفير علّمهم الله إيَّاه ، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء (وعلَّم آدم الأسماء كلَّها ثمَّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ، (سورةالبقرة/٣١ـ٣٢)

فالإنسان يتميز بالقدرة على التعرف على الأشياء واكتشاف سنن الكون ، والملائكة يعلمون ذلك بالتلقي المباشر عن الله سبحانه وتعالى .

ولكنَّ الذي علمهم إلله إياه أكثر مما يعرفه الإنسان ومن العلم الذي

أعطوه علم الكتابة ، (وإنَّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) (سورة الانفطار/١٠ ـ ١٢) .

وسيأتي إيضاح هذا في مبحث (الملائكة والإنسان) .

اختصام الملأ الأعلى :

والملائكة تتحاور فيما بينها فيما خفي عليها من وحي ربها ، ففي سنن الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفيّ ، حتى وجدت بردها بين ثدييّ ، فعلمت ما في السموات ، وما في الأرض ، فقال : يا محمد ! هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، في الكفارات والدرجات ، والكفارات : المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، واسباغ الوضوء في المكاره .

قال : صدقت يا محمد ! ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه .

وقال : يا محمد إذا صليت فقل : اللهمَّ إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين ، وأن تغفر لي ، وترحمني ، وتتوب عليَّ وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون .

والدرجات : إفشاء السلام ، واطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام) . (انظر صحيح الجامع ٧٢/١) .

قال ابن كثير في هذا الحديث : (هذا حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط ، وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به .

وقال الحسن : صحيح وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن في قوله : (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ، إنْ يوحى إلي إلا أنّما أنا نذير مبين) ، (سورة ص /٦٩ ـ ٧٠) .

فإن الاختصام المذكور في الحديث ، قد فسره الرسول ﷺ .

والاختصام المذكور في القرآن فسرته الآيات بعده (إذ قال ربك للملائكة : إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين . .) الآيات .

فالاختصام المذكور في القرآن كان في شأن آدم ـ عليه السلام ـ **وامتناع** إبليس من السجود له ومحاجته ربّه في تفضيله عليه . (راجع **تفسير ابن كثير** ٦/٧٣ ـ ٧٤) .

منظمون في كل شؤونهم :

الملائكة منظمون في عبادتهم ، وقد حثنا الرسول ـ ﷺ ـ على الاقتداء بهم في ذلك فقال : (ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها) ؟ قالوا : وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال : (يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف) ، (رواه الجماعة إلا البخاري) ، وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن (جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) والحديث في صحيح مسلم .

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (سورة الفجر /٢٢) . ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) (سورة النبأ /٣٨) والروح جبريل .

وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر ، في صحيح مسلم ومسند أحمد عن

أنس ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قال (آتي باب الجنَّة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك) .

ويمكن أن نلاحظ دقة تنفيذهم للأوامر من استعراض حديث الإسراء إذ كان جبريل يستأذن في كل سماء ولا يفتح له إلا بعد الاستفسار .